ثلاث قصص قصيرة جدا

قصي حسن الخفاجي

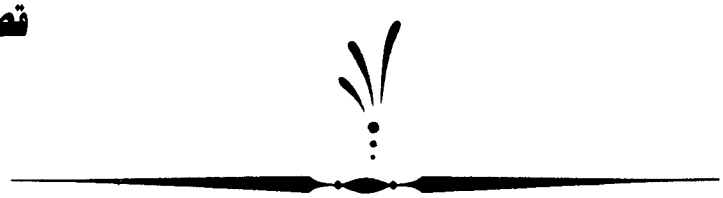

«البحر والبرج»

البحر والبرج.. زرافاتٍ يقفون على السلّم.. إنّهم أفّاقو مدن بعيدة.. يهبط هواء البحر على المدارج (صعود.. وتعب لا ينتهيان،.. وفي محطةٍ ما، من محطات البرج الكثيرة، يجلسون في الكازينو التي تطل على أفق السماء التي تنتهي ولا تنتهي عند نهايات البحر.. وجوههم كالحة ولحاهم كثّة.. يشربون الشاي، ويُغَنّون الأغاني التي شاعت في تلك المدينة العريقة التي تستقطب اليائسين..).

الساعات تمضي خاويةً.. وآخر أوقات الليل تبكي النجوم.. قال الحارس الهَرم وصلتم القمّة.. عيونهم تلتقي في المرايا الوهمية وينهضون (سديم أسود.. ريح عميقة تَندفع كالفيضان، وتهبط بسرعةٍ إلى قاع المدينة الخالي.. وتفد ريح، أخرى؛ مجنّحة؛.. ريح، ريح لا تنتهي.. فيدبّون الخُطى، ويتحسّسون الحافات الكونكريتيّة الباردة.. ثم يصيخون لأصواتِ قلوبهم.. فثمّة شيء غامض، يتكسّر في العمق، يلحّ عليهم في البقاء مُعَلّقين؛ هنا؛ فوقَ القمة العارية الخرساء).

تلك المدينة النائمة في أحضان البحر والأضواء والعتمات،... هنالك، الآن، ألف طقس للعبادة وألف طقس للولادة، وألف طقس للموت والانحطاط.. قال أحد الأفّاقين لا بدّ من النزول حالاً؛ وراحوا يهبطون السلالم الحجريّة المغموسة في أحشاء الكونكريت؛ وعبر الظلمات الحلزونيّة كمّموا أنفاسهم الطافحة بالمرارة.

(في حديقة البلدية، تلمّهم خيوط الفجر الرمادية.. ينامون.. وفي الظهيرة يستفيقون، حفاةً، يغوصون في الأحياء القديمة، المتآكلة، يتطلعون بألمٍ وضياعٍ إلى تلك المطاعم المدفونة في الجدران الملحيّة الرطبة، المتقشّرة.. مطاعم تفوح منها روائح أطعمة غريبة.. يتشرذمون ويغوصون في أزقّةٍ ملتوية، ويخرجون إلى شوارع عريضة، صامتة، ممتدة، بلا نهاية،.. شوارع، بأبوابٍ مقفلة، غبراء، وهي تبتلع عيونهم المبهورة بالشمس الداكنة.. وتتفرّع، الأزقّة، الخيطيّة، وفيها يتشظّون، ولم يعد أحدهم يعرف شيئاً عن الآخر).

«القوارب»

مخالب صخور تنبت فوق جزر منسيّة. هنالك الصمت والهواء، والّليل يسقط بقوة على السواحل. لا ريح تتجعد فوق المياه المتكسِّرة. ولا عواصف تدوّي في المغاور والغابات.. ولا أمواج تصهل وتصكّ أسنانها ثم تبتلع الأشياء...،.. أضواء، مجرد أضواء خابية، بعيدة...،.. والقادمون الغرباء يضرمون النار تحت أعناق الضخور المعشوشبة.. ففي ذلك الشتاء الرمادي الكثيف تتسمرّ القوارب مربوطةً في أعناق الصخور ومخالبها.. الغرباء يقرفصون، ثم يتأهبون للانتظار...

انتظار؛ وانتظار أبيض، غائم؛.. وتطلّ عليهم نفحةُ سلامٍ مع النفس، مشعشعة بيضاء كالحمامة الساجية فوق موجة مكوّرة، أو كنجمة الصباح التي تسقط على لسان الخليج. آه، والكهوف، ضيّقة تمتص القشعريرات المنبعثة من طيّات الجلد المنفعل... آهٍ، ينظرون إلى الكهوف، الطويلة، المظلمة، ويتركون الجمر ينمو تحت رماد العشب حذاء الصخور، ويتهجون إلى الكهوف: يدخلونها بخشوع ، ويفرغون فيها شحنات أسرارهم وغربتهم الطويلة،

بعيداً عن مدن الحلم والطفولة الأولى (يقفلون أجفانهم في الكهوف، فتطفح عماءات.. آ.. بالأحرى، هو عماء أصداف مُغلّفة بالخزف والفسفور،.. وجنادب خضراء زاحفة على أسطح الحجر،...،.. وسلاحف، متراصّة، ومرقّطة، تنفخ من خياشيمها البخار الأسود، وهي تغطس في دروعها الثقيلة، فيما الديدان المظلمة كالليل تطنّ، وتثبت وترفرف بأجنحتها الزجاجية، وتهفهف على صفحة مياهٍ ملساء رقراقة لصق جدران الكهوف.. ما الذي ينتظره الغرباء..؟ في ظلمة عيونهم المنطفئة ينكسر القمر العالي، وراء الغابات، وفوق الكهوف.. وبريقه الخابي يتورّد بقوّة فوق الموج البارد).

-------- ؛ ------- ؛ ------- ؛ -------

يخرج الغرباء؛ يحلّون القوارب الساجية في ساعة سحر.. وفوق رؤوسهم، في العراء العشبي، بقعة تتوهج، بعيدة،.. تخبو حيناً، وتنطفىء، ثم ينبعث شعاعها في الأفق البعيد.. يشقون طريق البحر متجهين إلى أصقاعٍ غامضة تنأى بهم إلى المدى الرمادي. والجزر وراءهم تتلاشى في عتمة النسيان.. يتركون القوارب في نقطة خالية من الموج ويسبحون عائمين. يلفّهم الضباب بدثارة الكثيف، الفولاذي.. وخلف أسوار البعد الأرضي ينطفئون في سديم الغيبوبة الأبدية (لا أحد يعلم؛ لا أحد؛ في هذا الخلاء الفسيح، ولا أحد يرقب؛ أو يصيخ لنبض أنفاسهم، عدا نجمة الصباح الوحيدة، وهي معلّقة فوق بحر الضباب).

«وردة سائس صغير»

صغيراً؛ رأيته بعينيّ، ضئيلاً للغاية.. ينام وهو جالس في قاربه الأبيض؛ طافياً فوق نهر القرية.. تهرع إليه الأنسام منسرحةً فيأخذ وردته البيضاء، قبل أن يغفو، ويغرزها في عروة سترته الزرقاء المُبَطَّنة بالفرو. يتلفّت، ويعصّب رأسه المستطيل بفوطة سوداء؛ وفي الظلمة الباردة؛ آه، يرقب خيوط الليل المتماوجة وهي تغوص في مياه النهر الساكنة. يسحب آ، تاركاً القارب؛ يسحب حماره الرمادي، ويربط القارب في الجرف.. ويتجه صوب الأحراش الممتدة بعيداً عن البيوت الطينيّة الحمراء، ويغيب عن ظلال النهر البارد. رأيته والشبكة في يدي. والوقت بارد. ينام تحت أرجل الحمار الرمادي. ثانية، يغفو - وحين يفيق يشمّ عطر الوردة البيضاء؛ يشمّها بقوّةٍ ولذة. ثم ينظر بشغفٍ إلى بطن الحمار، ذي الشعر الأبيض اللين، الناعم.. فهو ناعم وناصع، قطني، أملس، ومنسرح، يسحب جسمه، وقد يبتعد، والنظر يغوص في الأنوار المظلمة البراقة. فهل يجرؤ على التنفس؟ كل شيء يبدو صعباً للغاية. الرؤية بالذات. ويعود بخطاه واضعاً الوردة على سطح الحمار المنحني - يبتعد. كأن شيئاً مظلماً يلملم الخوف. يتحرك. يضطرب - يمور. ولفترةٍ قصيرة يتلوّى ويغوص في ظلام الأحراش. الليل البهيم يدثر الأرض.. والسائس الصغير يغيب إلى ما لا نهاية.

البصرة (العراق)

صدر حديثاً

ديوان الحب العربي

تأليف

محمد سعيد اسبر

إن معظم شعر الحبّ في تراثنا العربي ما يزال دفيناً في بطون المؤلفات والدواوين، مشتّتاً، مجهول الموقع بالنسبة لقطاع واسع من القراء.

وهذا الكتاب يتناول أهم أشعار الحب التي نظمت من بداية العصر الجاهلي حتى نهاية مخضرمي العصرين الأموي والعباسي، من أبيات الشّنفري، حتى أشعار بشّار بن برد.

منشورات دار الآداب